

فعاليّة استخدام الأنفاق في الحروب

هل الأنفاق التي حفرتها "قسد" فعّالة
في الحرب القادمة أم لا؟



المركز السوري
لدراسات الأمن والدفاع
SYRIAN CENTER
FOR SECURITY AND DEFENSE STUDIES

نوفل خليل



مسد/ مؤسسة بحثية مستقلة وغير ربحية، مسجلة قانونيًا في سوريا، تُعنى بإجراء الدراسات والتحليلات المتخصصة في الشؤون الأمنية والدفاعية. تسعى المؤسسة إلى الريادة في هذا المجال على مستوى سوريا والمنطقة العربية، من خلال إنتاج معرفي علمي وموضوعي يُسهم في فهم التحديات الأمنية والدفاعية ومعالجتها بفعالية.

تهدف المؤسسة إلى أن تكون مرجعًا موثوقًا لصناع القرار والباحثين، ومصدرًا معرفيًا يسهم في تطوير السياسات الأمنية والدفاعية، من خلال تقديم رؤى استراتيجية قائمة على البحث الدقيق والتحليل العميق، المرتبط بالدراسات الميدانية والتفاعلات الواقعية على الأرض.

كما تولي المؤسسة اهتمامًا خاصًا برصد التحولات الجيوسياسية، وتحليل السياسات الدفاعية الإقليمية والدولية، ملتزمة بتقديم إنتاج علمي يرفع من مستوى الوعي العام، ويعزز بيئة القرار الأمني والدفاعي الواعي والمسؤول.

يمكنكم زيارة الموقع عبر:

Misdad.org

منذ القدم، وعلى مرّ التاريخ والعصور، عُرفت الأنفاق واستُخدمت كوسيلة غير تقليدية في النزاعات والحروب. فقد أضافت إليها الجيوش وظائف متعددة لأغراض هجومية أو دفاعية، تنوّعت بين تأمين الحركة السريّة وتحقيق عنصر المباغتة وحماية المقاتلين من نيران الأعداء ورصد تحركات الخصم.

من حصار المدن القديمة إلى المعارك الحديثة في فيتنام وغرّة، أثبتت الأنفاق أنها قادرة على إرباك الخصوم والتصدي لهم، سواء في حالات الهجوم أو الدفاع.

وفي السياق السوري، برز استخدام الأنفاق منذ بدايات العمليات المسلحة، في الغوطة الشرقية وجوبر وداريا، ولاحقاً في عفرين، لتصبح عنصراً أساسياً من عناصر الصمود، وأحد أهم التكتيكات التي اعتمدتها الفصائل الثورية في عملياتها ضد قوات النظام. بل إن استخداماتها لم تقتصر على الجانب العسكري، بل تعدت ذلك لتصل إلى مجالات إنسانية وطبية وإغاثية¹.

الأنفاق في النزاعات السورية

شهدت سوريا، منذ انطلاق الثورة وحتى اليوم، حروباً وعمليات عسكرية متنوّعة من حيث القوة والتقنية والتكتيك الذي تنوعت أساليبه لتكون الأنفاق عنصراً حاضراً بقوة، حتى أنها شكّلت ما يشبه "مدناً باطنية" تحت الأرض. في بلدة الريحان بالغوطة الشرقية مثلاً، وُجدت شبكة من 13 نفق بلغ طول كل منها 15 كيلومتراً، ما يجعلها أكبر حتى من بعض شبكات المترو الأوروبية².

هذه الأنفاق في ريف دمشق وما حولها كانت عصية على الاختراق، إذ أمنت الحماية والتحصين للمقاتلين فيها على مدار خمس سنوات ضمن مناطق سيطرة الفصائل التي لم يكن نظام الأسد المخلوع ليدخلها لولا الاتفاقات التي أجريت في 2018 بوساطة روسية³.

ولم يكن استخدام الأنفاق حكراً على الفصائل المعارضة للنظام؛ إذ إن الأحداث في شمال وشرق سوريا أظهرت حضوراً لافتاً لها. فمن الحرب ضد "داعش" إلى "قسد" تكشف التجارب عن اعتماد واسع على الأنفاق لأغراض دفاعية، كتأمين ممرات آمنة وحماية للمقاتلين وتخزين الأسلحة.

¹ عقبة الأحمد "سر أنفاق جوبر.. 27 كيلومتراً تحكي صمود بوابة دمشق إلى الغوطة" الجزيرة نت، تاريخ النشر 2025 / 02 / 18.

رابط الكتروني: <https://2u.pw/0vGf0>

² "حرب الأنفاق في سوريا؛ مدن تحت الأرض" موقع الوقت، تاريخ النشر 2014 / 08 / 09، رابط الكتروني: <https://2u.pw/jbgjx>

³ "التهجير المنظم في الغوطة الشرقية... الحجم والأثر" مركز جسور للدراسات، تاريخ النشر 2018 / 04 / 23، رابط الكتروني:

<https://2u.pw/at15o9I5>

أنفاق "قسد".

سجل التاريخ العسكري لـ "قسد" الكثير من الأمثلة على استعمال الأنفاق وتوظيفها في حروبها بعد فترة وجيزة من تشكيلها في تشرين الأول/أكتوبر عام 2015⁴، وامتدت شبكاتها على عموم الجغرافيا التي خضعت لها من القامشلي وعامودا والدرباسية شرقاً، إلى منبج وتل رفعت وعفرين غرباً⁵.

وتشير تقارير إلى أن بعض هذه الأنفاق ربطت بين مدن متباعدة، وأخرى فرعية بأطوال وصلت إلى 40 كيلومتر⁶، وفي منبج وحدها تجاوز مجموع أطوال الأنفاق الـ 140 كيلومتر⁷.

وصولاً إلى عفرين التي كُشف فيها عن نفق بطول 100 متر وعرض 8 أمتار، يتسع لنحو 1000 شخص ويسمح بمرور العربات، ويحوي عشرات الغرف والأنفاق الفرعية⁸. كما قُدِّر طول شبكات الأنفاق هناك بما يقارب الـ 50 كيلومتراً⁹.

رغم ذلك، فإن جميع تحصينات "قسد" هذه لم تستطع إيقاف تقدم فصائل المعارضة المدعومة من الجيش التركي حين خسرت السيطرة على جميع المناطق والمدن التي استهدفتها عملياتنا "غصن الزيتون" (2018) و"نبع السلام" (2019). إذ تمكنت أنقرة من استهداف مداخل الأنفاق بالقصف المدفعي والجوي، مما كشف هشاشة أنفاق قسد في مواجهة أي تفوق جوي وتقني.

اليوم تكرر "قسد" تجربتها، لكن بوتيرة أسرع بعد اتفاق 10 آذار، ومع تصاعد التوتر السياسي والميداني كثفت عمليات الحفر في الرقة والحسكة وعين العرب كوباني. ولم تعد أماكن الأنفاق وعمليات الحفر تقتصر على أطراف المدن وخطوط التماس، بل باشرت عمليات الحفر وتجهيز الأنفاق على العلن وأمام أعين الأهالي داخل

⁴ عبد الله البشير "أنفاق "قسد" في سورية... تكاليف مرتفعة واستخدامات متعددة" العربي الجديد، تاريخ النشر 07/15/2022.

رابط الكتروني: <https://2u.pw/EeUTy>

⁵ "قسد" تحفر مزيداً من الأنفاق في القامشلي" عنب بلدي، تاريخ النشر 07/14/2023، رابط الكتروني: <https://2u.pw/zKVzML>

⁶ أحمد جاموس "أنفاق "قسد".. ساحة مواجهة العملية التركية المرتقبة" نون بوست، تاريخ النشر 09/08/2022، رابط

الكتروني: <https://2u.pw/T9O9Q>

⁷ "ميليشيا "قسد" تواصل حفر الأنفاق بمنبج" شبكة شام الاخبارية، تاريخ النشر 18/04/2022، رابط الكتروني:

<https://2u.pw/Mr2KRy>

⁸ "اكتشاف مقر تحت الأرض كانت تستخدمه "قسد" في ريف عفرين" تلفزيون سوريا، تاريخ النشر 16/04/2018، رابط

الكتروني: <https://2u.pw/Ky3yP>

⁹ صونار كلينج "القوات التركية تلاحق الإرهابيين في شبكة "أنفاق" عفرين" وكالة الأناضول، تاريخ النشر 18/02/2018، رابط

الكتروني: <https://2u.pw/DhPbX>

المدن المأهولة، تحت المشافي، ومن قلب المباني الحكومية، وأسفل الشوارع والأبنية السكنية، ضمن مناطق ومدن تتسم ببنية جيولوجية هشّة أساساً، لا سيما في مدينتي الرقة والطبقة¹⁰.

الحفر العلوي، وبشكلٍ مرئيٍ لعامة السكان، وفتحات الأنفاق المعروفة للقاصي والداني في شمال شرق سوريا، يطرح أسئلةً عدة حول غاية "قسد" من حفر هذه الأنفاق ومدى فعاليتها في أي مواجهة عسكرية قادمة.

الاعتبارات العسكرية: الأرض، السلاح المضاد، والسرية

تمتاز مناطق شمال شرق سوريا بأرض منبسطة إلى حد كبير، والطبيعة الجيولوجية للتربة فيها إما رملية هشة أو طينية غضارية¹¹. كما تُعرف بارتفاع منسوب المياه الجوفية التي قد تظهر بعد عمقٍ لا يتجاوز الـ 1.5 متر في بعض المناطق وخصوصاً في الرقة، وهذا ما جعل التربة في هذه المناطق نفوذة ورخوةً وأشبه بالإسفنجية¹².

هذه الأرض تسهل عملية حفر الأنفاق، لكنها لا توفر صلابة كافية، ولا تسمح طبيعتها الجيولوجية بالتوغل كثيراً في الأعماق، ولا تؤمن تحصيناً ضد الضربات الجوية، مما يضعف قيمتها الاستراتيجية مقارنةً بتلك المحفورة في عفرين داخل الصخور الجبلية.

والتي لم تستطع إيقاف تقدم فصائل المعارضة في عملية غصن زيتون، واستُخدمت فيها أسلحة مضادة تم تطويرها لتشمل الطائرات بدون طيار والصواريخ المخترقة للتحصينات والقنابل الموجهة، مما يجعل كشف الأنفاق وتدميرها أمراً متوقعاً.

فترسانة الأسلحة التركية المتطورة اليوم باتت متنوعة المهام وذات كفاءة عالية للتعامل مع هذه الأنفاق بسهولة، إذ إن الطائرات المسيّرة (Akinci 2 Bayraktar TB)، قادرة على تأمين المراقبة والرصد، والواحدة منها تحلق لأكثر من 24 ساعة، وقادرة على حمل الذخائر الموجهة (MAM-L) و (MAM-C) ذات الدقة العالية

¹⁰ محمد كركص "أنفاق "قسد" تحت المدن المأهولة: خطر كامن يهدد شمال وشرق سوريا" سطور. تاريخ النشر

2025/08/06. رابط الكتروني: <https://2u.pw/cq0dd>

¹¹ محمد العزو "الظواهر الطبيعية" الشرق الأوسط الديمقراطي. تاريخ النشر 2023/01/20. رابط الكتروني:

<https://2u.pw/HcedD>

¹² محمد كركص "أنفاق "قسد" تحت المدن المأهولة: خطر كامن يهدد شمال وشرق سوريا" سطور. تاريخ النشر 06

2025/08/. رابط الكتروني: <https://2u.pw/cq0dd>

والفعالية القوية في تدمير واختراق التحصينات. ناهيك عن مدافع "هاوتزر" التي كانت حاضرة بقوة في عمليتي "درع الفرات" و "غصن الزيتون"، والتي كان استخدامها فارقاً في العمليات العسكرية¹³.

مهمة هذه المنظومة العسكرية لن تكون صعبة في ظل افتقار قسد لعنصر السرية في عمليات حفر الأنفاق، وهو العنصر الأهم الذي يعطي للأنفاق ميزة الحماية والمباغلة والدفاع. ففتحات الأنفاق وأماكنها ليست مخفية أو عصية على الرصد؛ لأن "قسد" تحفرها أمام أعين الأهالي، وفي معظم المباني الحكومية والمرافق العامة.

وفقاً لذلك، فإن تجربة "قسد" مع الأنفاق تُظهر أن هذه الوسيلة ربما -وبشكلٍ ضئيل- تمنحها وقتاً إضافياً وقدرة تكتيكية محدودة على المناورة والصمود، لكنها في ظل طبيعة الأرض الهشة، والتفوق الجوي والتقني للخصوم تبقى وسيلة دفاعية مؤقتة أكثر من كونها تحصيناً ذو قيمة استراتيجية حاسمة.

وبناءً عليه، يمكن القول: إن الأنفاق قد تؤخر انهيار خطوط "قسد" الأمامية وتمنحها وقتاً إضافياً لإعادة التوضع، لكنها ليست كفيلة بقلب موازين الحرب لصالح "قسد".

ليبقى السؤال مفتوحاً، هل تشكّل الأنفاق جزءاً من العقيدة القتالية لـ "قسد" كخيار استراتيجي طويل المدى؟ أم أنها مجرد ورقة عسكرية لأغراض سياسية في مفاوضات تنفيذ اتفاق 10 آذار؟

¹³ "أقوى 10 أسلحة تركية قلبت موازين القوى" موقع دفاع العرب. تاريخ النشر 2025/07/30. رابط الكتروني:

<https://2u.pw/iQLed>



المركز السوري
لدراسات الأمن والدفاع
SYRIAN CENTER
FOR SECURITY AND DEFENSE STUDIES